

سياسة التفكيك والإقصاء السياسي للقبيلة الجزائرية من خلال نظام المكاتب العربية
إبان الاحتلال الفرنسي (1844-1870)

*The Deconstruction and the Political Exclusion Policy of the
Algerian tribe through the Arab Office System during the French
Occupation (1844-1870)*

1- الأستاذة الدكتورة حباش فاطمة جامعة ابن خلدون - تيارت - (الجزائر)

fatima_hab@yahoo.fr

2- الدكتورة حمري ليلي، جامعة ابن خلدون - تيارت - (الجزائر)

hamrileila971@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2024 /09/17 تاريخ القبول: 2024 /12/08 تاريخ النشر: 2024 /12/17

ملخص:

ارتكزت عملية المد والتوسع الاستعماري بمختلف المناطق الجزائرية شمالا وجنوبا على سياسة استعمارية تقوم أساسا على التوازن والتكامل في آن واحد بين العنصر العسكري والعنصر السياسي، مما يعني التنسيق بين نشاط الجيش بعملياته العسكرية التوسعية والتأديبية، وبين نشاط الحكومة من خلال ترتيباتها في مختلف المجالات خاصة ميدان التشريع وسن القوانين في مختلف المجالات بهدف انجاح عملية المد الاستعماري، وتحقيق الاحتلال الشامل.

ولابد من الإشارة أن دور السلطة الاستعمارية من خلال عنصر الحكومة ومجهوداتها في إيجاد تنظيمات سياسية وإدارية واقتصادية على فترات متوالية جاء بناء على تجاربها الأولى الفاشلة، بحيث انتهت كل حملاتها التوسعية بالفشل لاعتمادها على عمل الجيش فقط، من هنا إذن كانت الضرورة في إيجاد تكامل بين عمل الجيش والحكومة بتبني سياسة استعمارية محورها التنسيق بين النشاط العسكري والسياسي، تسمح بثبيت الاحتلال في مختلف المناطق، وفرض

*- المؤلف المرسل

السيطرة على القبائل الجزائرية باختلاف أشكال نفوذها، وهو ما حدث على عهد الجنرال بيجو الذي تبنى سياسة استعمارية من إحدى جوانبها ما تعلق بالتنظيم الإداري للقبائل، ومحاولة إخضاعها لنظام الإدارة الأهلية تمهيدا لجعلها منطقة فرنسية نواتها " نظام المكاتب العربية" الذي أقر رسميا بمرسوم 1844/02/1.

ولمعالجة الموضوع طرحنا إشكالية محورها: " ماهي مظاهر ومعالم التنظيم الإداري للقبائل الجزائرية، إلى أي مدى استطاعت السلطة الاستعمارية بواسطة المكتب العربي تدجين الزعامات الأهلية وإقصاء نفوذها السياسي وتكون ممثلا ووسيطا لها وتحت سيطرتها؟، وكيف أثر ذلك على المقاومة الوطنية؟".

الكلمات المفتاحية:

المكاتب العربية، القبائل الجزائرية، الاحتلال الفرنسي، نظام المكاتب العربية.

Abstract

The process of the colonial expansion in the various Algerian regions was based on a colonial policy that was relied mainly on balance and integration at the same time between both the military and the political components. And this was based on the coordination between the army's different operations, and the government's activities through its arrangements in various fields, especially the legislation field in order to succeed its colonial expansion process and achieve a total occupation.

It should be noted that the role of the Colonial Authority through the government's efforts in creating political, administrative and economic organizations at successive periods were based on its first failed experiences since it depended on the army's operations when expanding its colonial campaigns. Therefore, it was necessary to adopt a colonial policy focused on the coordination between military and political activity. So that various regions would be occupied, imposing a control over the Algerian Tribes. For instance, General Peugeot had

adopted a colonial policy which was related to the administrative organization of the tribes, attempting to subjugate them The Native Administration System to be a French region whose essence is the "Arab Office System" which was officially approved by decree 1/02/1844.

In this regard, the present study comes to answer the following questions: "What are the manifestations and the features of the administrative organization of the Algerian Tribes? To what extent was the colonial authority, through the Arab Office, able to domesticate the civil leaders and exclude their political influence and to be a representative and mediator for them and under their control? And how did this affect the National Resistance?"

Keywords: Arabs Offices System, Algerian Tribes, French colonial.

مقدمة:

بالرغم من استقرار فرنسا في موقفها تجاه الجزائر بعد أربع سنوات من الاحتلال، ميزها التردد المطلق والصورة الضبابية لوضعها هناك، من منطلق إشكالية كيفية تسيير الأمور إلا أن مبادرات لجنة التحقيق " اللجنة الإفريقية"¹ ونشاط عناصرها سمح بإزالة الالتباس عند الساسة الفرنسيين، واتضحت

¹ _ اللجنة الإفريقية هي لجنة تحقيق فرنسية أرسلت إلى الجزائر للبحث ومعاينة الوضع العام بعد سلسلة الشكاوي والعرائض التي رفعها الجزائريون ضد تصرفات الفرنسيين بمدينة الجزائر، والتي طالت الأملاك والعباد، والشرف، تم اعتمادها من قبل الملك الفرنسي لويس فيليب في 1833/7/7، كلفت بجمع المعلومات المختلفة التي من خلالها توضيح الرؤية للحكومة الفرنسية فيما يخص الجزائر حاضرا ومستقبلا، وصلت إلى الجزائر بقيادة الجنرال Donnet، عقدت عدة لقاءات مع السكان بدء بالمستوطنين والتجار الأوروبيين، وأعيان الحضر، واليهود، كما قامت بزيارات لمختلف المناطق الفرنسية بمدينة الجزائر/ وضواحيها بسهل متيجة، وهران، أرزيو، وعناية وبجاية، عادت إلى فرنسا مرفقة بتقرير عام وشامل، قدم إلى الحكومة الفرنسية، كان في صالح فرنسا للمحافظة بالجزائر والتمسك بها عبر مرسوم أصدر في 1834/7/22 الذي أقر بأن الجزائر من ممتلكات فرنسا بإفريقيا يحكمها حاكم عام عسكري تابع لوزارة الحربية. ينظر: أبو القاسم سعد الله. محاضرات في تاريخ الجزائر " بداية الاحتلال"، عالم المعرفة، الجزائر، 2003، ص ص 97-103.

الصورة فعليا وبصفة واضحة للعيان على المستوى الداخلي بفرنسا أو بالنسبة للرأي العام الأوروبي والعالمي، وحتى للجزائريين الذين تأملوا كثيرا من لجنة التحقيق، والتي هي في الواقع نتاج نضال زعماء المقاومة السياسية الذين ندّدوا عبر الشكاوي والعرائض بتصرفات الجيش والفرنسيين عموما بمدينة الجزائر ونواحيها¹، إذن اتضحت الرؤية للفرنسيين وأعطى طابع الشرعية لتواجدهم ونشاطهم بإصدار مرسوم 1834/7/22، الذي يقر بأن الجزائر من ممتلكات فرنسا خارج أوروبا بإفريقيا، تخضع لسلطة النظام العسكري تحت إشراف حاكم عام عسكري تابع لوزارة الحربية².

لكن بالرغم من اتضاح الصورة والاستقرار على مبدأ الاحتلال التام والشامل للجزائر، إلا أنه لم يكن بالأمر السهل في تحقيقه، ببساطة لأن عملية المد والتوسع الفرنسي قابلها رد فعل قوي للجزائريين ضد فرنسا كسلطة أجنبية لا يعترفون بها، جسدتها تلك المقاومة الوطنية العسكرية³. وبتوالي هزائم الجيش الفرنسي أمام زعماء المقاومة خاصة بقيادة الأمير عبد القادر الذي شكل نشاطه الثوري القائم على مبدأ بناء دولة عصرية ذات سلطة جزائرية شرعية شوكة في مسار التوسع الاستعماري⁴، بحيث بقيت فرنسا في حصار ودون تقدم في تحقيق مشروعها الاستعماري، مما ألزمها الأمر الوقوف على أخطائها في عملية الاحتلال، واستخلاص نقاط القوة لهذا النشاط النضالي. وفعلا خرجت السلطة الاستعمارية بنتيجة مفادها أن الاحتلال لن يتحقق فقط بالاعتماد على الألة العسكرية ونشاط الجيش الإفريقي أمام صرامة وإصرار القبائل على المقاومة محاولة تجديد قوتها ودحر العدو كل مرة من مختلف المناطق

¹ _ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992، ص ص 104-108.

_ محفوظ قداش، الجزائر صمود ومقاومات 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص ص 13-16.

² _ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص56.

³ _ من بين المقاومات ضد الاستعمار نجد مقاومة سكان متيجة بقيادة الشيخ ابن زعمون، والشيخ الحاج السعدي 1830-1834، مضافا إليها مقاومة أحمد باي بالشرق الجزائري 1830-1848، أما الأمير عبد القادر فكانت مقاومته ما بين 1832-1847.

⁴ _ عبد السلام فيلاي، الجزائر "الدولة والمجتمع"، الوسام العربي، الجزائر. ط1، 2013، ص ص. 120-121.

الساحلية والتل عمومًا، والتي مني فيها الجيش العديد من المرات التراجع والانزهام ماديًا وبشريًا¹، بل نجاحه مرهون بعملية التكامل لمختلف مؤسسات السلطة الفرنسية، بحيث أصبح وحسب السياسة والمستشارين ضرورة اعتماد التنسيق في العمل بين العنصر العسكري والعنصر المدني، وهو ما تجسد في سياسة استعمارية شاملة لكل الجوانب ومكملة لبعضها البعض ضمت الاستيطان، والتنظيم الإداري، والقضائي، والتعليم...إلخ.

إذن وأمام عائق المقاومة الشديدة ذات السند المادي والروحي الممثل في القبائل والعشائر باختلاف أشكال نفوذها، من ديني وسياسي، وعسكري²، أصبح من الضروري إيجاد تنظيم يمكنها من فرض السيطرة على هذا المجتمع القبلي الذي تجهل لغته، وعاداته وتقاليده، وحتى الطبيعة الجغرافية المؤثرة فيه على مستوى المناطق الجبلية بالتل نهيك عن الهضاب والصحراء لاحقًا³، كل هذا جعل السلطة الفرنسية في حالة مد وجزر بتجارب متكررة ومحاولات عديدة في سبيل إيجاد نظام إداري يعنى بالقبائل الجزائرية، ويتمشى مع طبيعتها وخصوصيتها الاجتماعية، ويضمن في نفس الوقت السيطرة عليها، وهو ما تحقق فعليًا مع مجيء الجنرال بيجو حاكمًا عامًا سنة 1841، وتبنيه إدارة أهلية قائمة على مبدأ "حكم العرب بالعرب"⁴، نواتها العنصر المحلي "الفرد الجزائري"، رسمت عبر مرسوم 1844/2/1 بميلاد نظام المكاتب العربية.

¹ _ وجهت حملات توسعية خارج مدينة الجزائر نحو البليدة في 1830/7/23، عنابة في 1830/8/2، حملة على وهران والمرسى الكبير في 1830/8/13، وحملة البليدة الثانية في 1830/11/17.

² _ اعتمدت المقاومة الوطنية على نفوذ القبيلة باختلاف أشكاله من نفوذ ديني على أساس الانتماء المرابطي لإحدى الطرق الصوفية، أو ارتباطها بالنسب الشريف منحدرين من سلالة آل البيت، أو نفوذ سياسي عسكري وأصحابه يعرفون بالأجواد، عرفوا ببسالتهم الحربية والعسكرية نهيك عن المكانة المادية. ينظر: حباش فاطمة، سي الأعلى بن بوبكر "القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ (1820-1896)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران 2004/2005، ص 6.

³ _ Roger Germain, **La politique indigène du Bugeaud**, Editions larose , Paris, 1955, P20-21.

⁴ _ قبل إرساء معالم الإدارة الأهلية على يد الجنرال بيجو كانت هناك محاولات سابقة للفرنسيين في تسيير شؤون الجزائريين، انطلقت بالتوازي مع عملية المد والتوسع خارج مدينة الجزائر، غير أنها لم تكن ثابتة وواضحة، حيث كانت في تغير مستمر خاصة بعد مرحلة التردد ابتداء من 1834، ومن أهم هذه المحاولات لتواصل الفرنسيين بالجزائريين بهدف السيطرة عليهم، فنجدهم قاموا بإحياء منصب آغا العرب من

1_ نشأة الإدارة الأهلية:

لعل قوة المقاومة العسكرية في المرحلة الأولى (1830-1839)، ونجاحها بإفشال عملية التوسع الاستعماري بصفة استيطانية جعل أغلب القادة العسكريين في سياستهم المضادة للمقاومة يولون اهتمامهم عسكريا بالدرجة الأولى عن طريق عمليات تدخل الجيش مع محاولات محتشمة بالسعي في إيجاد ترتيبات واجراءات تعنى بتنظيم شؤون أهالي المناطق التي تم السيطرة عليها، وهو ما يفسر ويبرر حالة التبعثر في السياسة الإدارية خلال الفترة الممتدة من 1830 إلى 1841¹.

لكن صورة الإدارة الأهلية اتضحت مع وصول الجنرال بيجو حاكما عاما وتبنيه سياسة استعمارية مزدوجة عسكرية مدنية، ومن بين عناصرها تنظيم القبائل إداريا، فهو كان مقتنعا أن نجاح المشروع الاستعماري وتحقيق الاحتلال التام لا يكون إلا بشن حرب إبادة شاملة ضد المقاومة العسكرية، واخضاع تام لكل القبائل الجزائرية، نهيك عن تحقيق استعمار استيطاني. ولبلوغ ذلك اعتمد العديد من الأساليب والوسائل تباينت بين ما هو عسكري، وما هو سياسي منها تبني نظام إداري يتمشى والتنشئة العربية للعشائر تسمح بمراقبة الأهالي وتتبع تحركاتهم²، ولأجل ضبط الإدارة الأهلية وترسيمها عمد إلى

النظام الإداري العثماني ليكون وسيطا بينهم وبين القبائل الجزائرية المنتشرة بضواحي منطقة متيجة، كلف بهذا المنصب في البداية شخصية حضرية المدعو عبد الرحمان أمين السكة، لكنه فشل في المهمة لعدم قبوله من قبل السكان، ليتولى مكانه الشيخ الحاج محي الدين مبارك القليعي في 1831/06/24، وهو من المرابطين تميز بمكانته واحترامه بين عشائر متيجة إلا أنه لم يبق في المنصب طويلا أين تخلى عنه في 1832/10/26 معلنا انضمامه وتأييده لثوار متيجة خاصة بعد اكتشافه نوايا فرنسا من توليته للمنصب، وكذا المجزرة الشنيعة التي ارتكبتها روفيغو في حق قبيلة العوفية.

بعد تجربة آغا العرب كان السبيل إلى محاولة أخرى بإنشاء عربي، حيث أنشأ مكتب خاص بالشؤون العربية ذو طابع عسكري وإداري، مكلف بجمع المعلومات، عين على رأسه ضابطان وثلاث مترجمين، تولى رئاسته الضابط لامورسيير، وفي 1837/4/22 تم تأسيس مديرية الشؤون العربية كلف بها الضابط بليسي رينو. ينظر: حباش فاطمة، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري (1844-1870) "تيارت، سعيدة، جبرفيل أنموذجا"، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2013/2014، ص ص 50-52.

¹ _شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصرة " الغزو وبدايات الاستعمار 1827-1872"، تر جمال فاطمي، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص 312./_أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 57

² _ نفسه، ص 58.

تشريح كل المحاولات السابقة في عملية الاحتلال إضافة إلى وضع دراسات معمقة للمجتمع الجزائري، ونمط التسيير الإداري المعتمد من قبل السلطة قبل الاحتلال، أو على عهد دولة الأمير عبد القادر، وفعلا استطاع استخلاص نتائج مهمة في مقدمتها عدم جدوى الطابع المركزي في الاحتلال، وضرورة اعتماد نظام إداري يركز على العنصر المحلي¹، وذلك بالاستعانة بالزعامات التقليدية الأهلية، لها معرفة وإلمام بعناصر المجتمع بكل طبقاته خاصة القبلي، وبالتالي تكون مصدرا للسلطة الفرنسية في المراقبة، وجمع المعلومات حول العنصر البشري بطبائعه وعاداته، ونقاط قوته وضعفه، والأكثر من ذلك تسمح بمراقبة الأفراد والجماعات خاصة المتعاونة مع المقاومة، وكل ذلك بالطبع تحت المبدأ الرئيسي الذي اعتمده بيجو " حكم العرب بالعرب"² مصرحا به قائلا: "...إن استعانتنا بهؤلاء الرؤساء والعائلات الكبيرة تعد وسيلة ناجحة لتعيين مواقع الثوار، وبذلك تتمكن من حصارهم والقبض عليهم بكل سهولة، وكذلك هذه الوسيلة تدخل في إطار المحافظة على الأمن العام والمحافظة على ازدهار التجارة والتبادل التجاري...كما أعطيت لهؤلاء الأعوان مهمة مراقبة الأشخاص الذين يمرون عبر المناطق، ومهمة مراقبة المغنيين المتجولين الذين يحرضون ضدنا الأهالي بنشر أفكار مغرضة ضد وجودنا في البلاد....."³

وللإشارة اتضح معالم السياسة الإدارية الأهلية لم تكن دفعه واحدة بل مرت على مراحل عرفت فيها العديد من التجارب شملت إجراءات منها وكبداية محاولة العودة إلى التجربة السابقة فيما يخص الإدارة الأهلية بإحياء مديرية الشؤون العربية مع إجراء تعديلات بإلغاء الطابع المركزي وتعويضه باللامركزي من خلال استحداث ملحقات للمديرية على مستوى المقاطعات بوهران، وقسنطينة، والجزائر، تتولى تسيير شؤون الأهالي إقليميا⁴، واعتمد بالطبع هذا التنظيم رسميا بقرار 1841/8/16،

¹ _ Roger Germain, Op, Cit, PP 204-208.

² _ Albert Ringel, **Bureaux Arabes de Bugeaud et les cercles militaires de Gallieni**, Emille larose , Paris, 1903, P27. /_ Roger Germain, Op, Cit, PP 204-208.

³ _ محمد دادة ، السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر (1852-1870)، رسالة لنيل الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2003/2002، ص ص 121-122.

⁴ _ Victoire Démontés, **La colonisation militaire sous Bugeaud**, Imprimerie Algérienne, Alger, 1917, P502.

وضع على رأسها الجنرال دوماس Dumas¹ لامتلاكه الشروط والمقومات منها: خبرته بشؤون الأهالي باعتباره كان قنصلا لفرنسا بدولة الأمير عبد القادر ما بين 1837 و1839²، وكان له الفضل كمستشار للجنرال بيجو في إرساء اللبنة الأولى لنظام الإدارة الأهلية، مرتكزا في ذلك على النظام الإداري للأمير عبد القادر، الذي كان مرجعية لهما، حتى أن بيجو كلفه بوضع دراسة معمقة حوله مكنته في الأخير الخروج بتقرير استخلص فيه أرضية نظام الإدارة الأهلية، شمل جوانب مهمة من المجتمع الجزائري، مصحوب في نفس الوقت بتعديلات ومقترحات تتماشى وطبيعة المشروع الاستعماري بالجزائر³، عموما كانت الخلاصة تقضي كما سبق ذكرها الاستعانة بالزعامات الأهلية في تسيير شؤون الجزائريين، لتتجسد رسميا بما يعرف بنظام المكاتب العربية.

¹ _ ولد سنة 1803 ب Delemenont بسويسرا، تتلمذ في الطب لكن والده رأى وجوده في باريس غير مفيد وأجبره على الالتحاق بالفرقة الثانية للقناصين، عين ضابط صف في 1827، والتحق بسان سير في 1829، وصل الجزائر سنة 1835 وتحت إشراف كلوزيل شارك في حملتي معسكر وتلمسان، بعدها اختير من قبل بيجو ليكون ممثلا ديبلوماسيا لفرنسا عند الأمير عبد القادر من 1837 إلى 1839. استدعي لاحقا من قبل لامورسيير إلى وهران لتولي شؤون الإدارة الأهلية بالمقاطعة على رأس مكتب المعلومات، تولى الإدارة المركزية لشؤون الأهالي سنة 1841، توفي في سنة 1871 مخلفا عدة كتابات : Le Sahara Algérin/ La Grand Kabylie/ Le Chevaux du Sahara/ Mœurs et Coutumes de l'Algérie/ La Vie arabe et la société musulmane. ينظر: C.A.O.M, 12X/140.

² _ Xavier Yacono, **Les Bureaux arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'Ouest du Tell Algérois**, Edition Larose, Paris, 1953, P12.

³ _ بعدما استلم الجنرال دوماس إدارة مديرية الشؤون العربية بقرار 184/08/16، وبأمر من الحاكم العام الجنرال بيجو تولى مهمة تشريع ودراسة نظام الأمير عبد القادر، وأعد تقريرا مفصلا بفضله المعلومات التي جمعها عن طبائع الناس، وأسس نظام الأمير عبد القادر، مع تقديم مقترحات وتعديلات تتماشى وأهداف السياسة الاستعمارية. شمل التقرير ست فصول بعنوانين مختلفة :- السلالات السكانية للجزائر، أسس تنظيم الأمير عبد القادر، أسس التنظيم الفرنسي، مهام القادة الأهالي، نظام العدالة، نظام الضرائب. ينظر:

Eugène Dumas, **Exposé de l'état actuel de la société arabe du gouvernement et de la législation qui régit**, Imprimerie du gouvernement, 1844, PP 1-27, 44, 53, 81, 97.

2_ قانون تنظيم الإدارة الأهلية:

بعد الدراسة المكثفة والتراجع النسبي للمقاومة بقيادة الأمير عبد القادر شرع في تنظيم الإدارة رسميا بإصدار مرسوم في 1844/2/1 يقر بإنشاء نظام المكاتب العربية، الذي يسمح بالسيطرة على القبائل الجزائرية وتحقيق الاستعمار¹، وهذا ما يؤكد دumas في تعريفه لهذا النظام وأجهزته قائلا :
".....مؤسسة لأجل تثبيت الاحتلال الحقيقي للقبائل بواسطة إدارة عادلة ومنضبطة لتحفيز مؤيدينا لاستيطاننا بواسطة الأمن العام وحماية مصالحنا الشرعية"².

انطلاقا من هذا التعريف نجد أن النظام الإداري اعتمد لتحقيق الأهداف الاستعمارية، وهذا من خلال المهام والصلاحيات التي أوكلت لمؤسساته وعناصره لتحقيق الهدف الرئيسي وهو تثبيت الاستعمار الاستيطاني بالجزائر، تنوعت بين مهام ذات طابع سياسي واجتماعي واقتصادي منها:

- _ مراقبة ومتابعة أمور القبائل من أجل اخضاعها لسيطرة السلطة الاستعمارية.
- _ العمل على جمع مختلف المعلومات عن الجزائر كإطار جغرافي، وبشري، بأبعاده التاريخية وأنثروبولوجية، وبالتالي كشف خبايا المجتمع لأجل السيطرة³.
- _ إعطاء الاحتلال بعدا استيطانيا من خلال الإشراف على العملية الاستيطانية، وتنظيمها من خلال إحصاء الأراضي بمختلف أشكال ملكيتها، والإشراف على الأشغال العمومية والاهتمام بالمشاريع الاستيطانية⁴.
- _ المساهمة العسكرية أولا بتتبع تحركات الثوار وكل القبائل المساندة للمقاومة الوطنية، وثانيا بالمشاركة في العمليات العسكرية التأديبية ضد القبائل التي أعلنت عصيانها⁵، إضافة إلى الإشراف على القوة الأهلية المجندة.

¹ _ GGA, **Recueil du gouvernement de L'Algérie (1830-1854)**, Alger, 1856, P 269.

² _ Xavier Yacono, Op, Cit, P 15.

³ _Victor Foucher, **Bureaux arabes en Algérie**, Librairie internationale.Paris,1858, P 22.

_ Louis Millot, **Le gouvernement de L'Algérie**, T3, Publication du Comité nationale métropolitaine de centenaire de L'Agérie , Alger, 1930, P10.

⁴ _ AC.A.O.M, F80/ 1676, Notes sur les Bureaux arabes , 1847.

⁵ _ A Behaghel, **L'Algérie** , Tissier librairie éditeur , Alger, 1865, P336.

_تنشيط العنصر الاقتصادي من خلال الإشراف على التجارة بمختلف أنواعها، وتحصيل الضرائب وتنمية الصناعة ومختلف المشاريع.

_الاهتمام بالجانب الاجتماعي بمراقبة القضاء الأهلي، والإشراف على التعليم العربي ومراقبته¹.
أما فيما يخص العناصر المكلفة بتسيير هذه الإدارة الأهلية نجدها جمعت بين نوعين من الموظفين متباينة عن بعضها البعض من حيث الأهمية والترتيب والمكانة ، يأتي في المرتبة الأولى موظفين من أصول فرنسية ذات طابع عسكري، منتدبة من الجيش الفرنسي، تحسن اللغة العربية، ولها إلمام بعادات وطبائع السكان المحليين²، وفي المرتبة الثانية موظفين من أصول جزائرية خاضعة للأولى ملزمة وفق قاعدة " التبعية" إلى إبداء الولاء والتعاون، وتنفيذ كل أوامر الفرنسيين وفق ما يخدم المشروع الفرنسي³. وبالطبيعة الحال وكما سبق ذكره اختيار الموظفين الأهليين يكون من الزعامات الأهلية، خاصة تلك التي قبلت التعامل مع السلطة الفرنسية مقابل امتيازات مادية وبشرية، حيث تم تنظيمها وفق السلم الإداري مستوحى من النظام الإداري لدولة الأمير عبد القادر، بنفس الألقاب والمراتب مع اختلاف في مقياس الاختيار، فبدل العلم والدين نجد الولاء المطلق والاعتراف بالسلطة الفرنسية وخدمتها⁴.

3_ إسهامات الإدارة الأهلية في الإقصاء السياسي للقبائل:

لا بد من التمييز في سياسة الإقصاء للقبيلة كنواة للمجتمع الجزائري على يد السلطة الاستعمارية وعن طريق نظام الإدارة الأهلية من خلال دورها المتباين الذي تولته، بحيث تنوعت مهامها وصلاحياتها، بل وتصاعد خطرها تدريجيا من فترة إلى أخرى هادفين إلى القضاء على المقاومة الوطنية والحس النضالي عموما لدى القبائل، ففي بدايتها ولتحقيق الهدف الرئيسي " تثبيت الاحتلال " تولت دور الإشراف والمتابعة للقبائل وتنظيم أمورها بعد إخضاع كل منطقة عسكريا على خلفية ملاحقة الأمير

¹ _ M B Thomas, **De l'emploi des arabes et de leur réforme dans l'Algérie**, Bastide librairie éditeur , Alger, 1847, PP 38-39.

² _ Jules Duval, **L'Algérie et les Colonies Françaises** , Librairie Guillaumin et Cie , Paris, 1877, P101.

_ Boujoulat M , **Récits et Pensées d'un voyageur**, Etudes africaines, Extrait du Tour de monde , Paris , 1862, P140.

³ _ Richard Charles. **Etudes sur l'insurrection de Dahra**. Typographie. Alger. 1846. PP 177-180.

⁴ _ حباش فاطمة، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري....المرجع السابق، ص 66.

_ GGA, **Tableaux de la situation des établissements français dans l'Algérie 1849-1851**, Imperial, Paris, PP 720-721

عبد القادر، وعليه فكل القبائل التي أعلنت استسلامها أخضعت مباشرة وفق سياسة الإدارة الأهلية المرسمة بقرار 1844/2/1 لسلطة المكاتب العربية الموزعة على مختلف الدوائر، مما يعني ذلك ميلاد فقدان القبائل لاستقلالها الداخلي، والذي تمتعت به طويلا منذ العهد العثماني خاصة القبائل تلك المصنفة ضمن العشائر الممتنعة والمستقلة،¹ لتجد نفسها ومع سياسة الاحتلال في حالة تدجين وتبعية للسلطة الاستعمارية.

أصبحت إذن القبائل الجزائرية وعلى اختلاف أشكال نفوذها وانتشارها الجغرافي بين التل والهضاب العليا وحتى الصحراء في الدرجة الثانية تحت رحمة وسيطرة سلطة العسكريين، الذين انتدبوا للعمل الإداري، تساعدهم زعامات أهلية تنفذ أوامرهم على عشائرها بما يتماشى ويتوافق الهدف الفرنسي "تحقيق الأمن والسلم"، ضمانا لنجاح المشروع الاستعماري بالجزائر، والطبيعي أن السكان المحليين وبحكم تعودهم على نمطهم العشائري² وعلى سلطة وثقتهم بزعمائهم سينعكس إيجابا على فرنسا التي ستصبح أكثر تحكما وسيطرة على العشائر.

فالفرنسيون وفي بداية تنفيذ مشروعهم حاولوا الإبقاء على القيادات العشائرية القديمة أو التقليدية دون تغييرها سواء أعلنت الولاء أو أخضعت بالقوة من منطلق ظروف المرحلة التي ميزتها الملاحقة والمطاردة العسكرية للمقاومة الوطنية والقضاء عليها، الأمر الذي تطلب أولا الاستعانة بالزعامات التي أبدعت الولاء مقابل امتيازات كما هو شأن بالنسبة للقبائل المخزنية، حيث ادمجت كموظفين بالمكتب العربي تحمل ألقابا مكلفة بممارسة مهامها التقليدية، لكن تحت إشراف للسلطة ملزمة بتأدية الواجبات واثبات حسن النية والوفاء لفرنسا بتأدية مهام كالمراقبة والمشاركة العسكرية³

وفق هذا المبدأ إذن نجح الفرنسيون في تحقيق الأمن والسلم، والانتقال إلى مرحلة جديدة من الاحتلال ذو بعد استيطاني، استدعى إلى تبني سياسة تعامل جديدة مع الزعامات، تقضي بالتخلي عنها وإلغاء وساطتها واقصائها بصفة تدريجية عن طريق الإدارة الأهلية وعناصرها من ضباط المكاتب العربية،

¹ _تعرف بالقبائل الممتنعة أو المستقلة، وهي تلك القبائل التي ظلت منعزلة عن السلطة الرسمية، ممتنعة عن سلطة الحكام رافضة الخضوع المباشر، تتمتع بالاستقلال الداخلي في تسيير شؤونها، غالبا ما تنتشر أراضيها بالمناطق الجبلية الوعرة شمالا أو بالمناطق البعيدة بالهضاب والصحراء جنوبا، تمتن ممارسة الرعي والترحال. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص ص 49-50.

² _Ibid, PP 720-721.

³ _حباش فاطمة، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري.... المرجع السابق، ص 170.

الذين تولوا المهمة بامتياز واعتمدوا أنماطا مختلفة في التخلص منها ، والقضاء على نفوذها، ومن بين الأساليب التي طبقت في ذلك نجد منها :

_بمجرد قبول هذه الزعامة العمل تحت إشراف السلطة الاستعمارية ألزمها تنفيذ الأوامر، وبالتالي أي تخلف عن المهام يفقدها المنصب ومعه الزعامة ورثاستها التقليدية.

_إثارة مبدأ المنافسة والصراع بين القبائل وبين أفراد العائلة أو القبيلة الواحدة حول السلطة ، مما يؤدي إلى إنهك قوة القبائل بصراعات داخلية فيما بينها عوض توحيد الجهود للتصدي للخطر الأجنبي، وكنموذج على ذلك بالجنوب الشرقي وتحديدا في منطقة الزيبان عندما استغل صراع عائلي بوعكاز و بن قانة على السلطة " مشيخة الزيبان"¹، ونفس الحالة نلمسها بالجنوب الغربي، بمنطقة العمور عندما وقع صراع بين الدين بن يحيى وابن أخيه النعيمي بن جلول على السلطة²مما تسبب في حدوث اضطرابات بالمنطقة مما استدعى تدخل السلطة الاستعمارية لحله بما يخدم مشروعها حيث اعتبرت تلك التصرفات تهديد للأمن، وحل الاشكال بوضع النعيمي بن جلول في الإقامة الجبرية.

¹ _ أكثر ما اشتهر به الجنوب الشرقي في مسألة النفوذ عند القبائل ذلك التنافس على السلطة بمنطقة الزيبان والأوراس بين عائلي بوعكاز وابن قانة، والتي تعود جذوره إلى العهد العثماني أين كانت عائلة بوعكاز تتمتع باستقلالها التام عن سلطة إيايات بايلك قسنطينة، وكانت على رأس مشيخة العرب في الجنوب الشرقي ، و كل القبائل تدين لها بالولاء بالرغم من محاولات أسرة بن قانة الحصول عليها بدعم من العثمانيين، وقبائل المخزن، حتى تمكنوا من المشيخة في عهد أحمد باي الذي حاول اخراج عائلة أخواله من العزلة السياسية على حساب عائلة بوعكاز، واستمر هذا التنافس والصراع بينهما حتى فترة الاحتلال الفرنسي بين فرحات بن سعيد زعيم بوعكاز، وبولخراس بن قانة عن عائلة بن قانة، وللإشارة حاول الفرنسيون استغلاله لصالح مشروعهم الاستعماري، فتحالفوا في الفترة الممتدة من 1830 إلى 1838 مع فرحات بن سعيد ضد لبن قانة وأحمد باي، لكن بعد فقدان قسنطينة وتراجع مقاومة أحمد باي وتخلى خاله ابن قانه عنه، واعلان استسلامه للفرنسيين تغير مجال التحالف عند الفرنسيين من فرحات بن سعيد إلى بن قانة حيث تحالفوا معه ضد بن سعيد الذي بدوره أعلن عداوته لفرنسا وأعلن تعاونه مع الأمير عبد القادر حتى سنة 1841 أين تم تصفيته من قبل أعدائه. ينظر : أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ص 328./ للإطلاع بشكل موسع حول الصراع ينظر: جميلة معاشي، الأسر الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري (16-19)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ص (286-307).

² _ C.A.O.M. 1J/21, Cercle de Tiaret , Révocation de l'agha Eddin Ben yahia contre Khalifa 18/5/1856 .

_ بحجة الإشراف وتسيير شؤون الأهالي ومتابعة أمورهم تبنت السلطة الاستعمارية عملية المراقبة ذات طابع تجسسي على شيوخ القبائل والعشائر لمعرفة نواياهم الحقيقية ، من خلال تقارير دورية يرفعها ضباط المكاتب العربية لمختلف الدوائر ، يسجلون فيها نشاط وتحركات العشائر ، إضافة إلى إرسال الشكاوي المختلفة من الأهالي ضد زعاماتهم ، فكانت فرصة للسلطة لتوظيفها في التخلص من الزعامات التقليدية، فالكثير منها أبعد بحجة وجودها يهدد الأمن والسلم ، وكنموذج عن تلك الشكاوي شكوى أهالي ورقلة في حق زعماء أولاد سيدي الشيخ بأغوية ورقلة بسبب ضريبة الزمة المرتفعة¹، وبأغوية اليعقوبية في حق العربي بن يوسف والتي أرسلها قائد قسمة معسكر إلى قائد مقاطعة وهران في 1852/2/23، اتهم فيها بالتجاوزات المالية ضد القبائل وانتهى الأمر بعزله².

_ تبني تغييرات في الرتب الإدارية التقليدية أو استحداث أخرى جديدة ، وتطبيقها على القبائل وزعاماتها، التي حاولت السلطة الاستعمارية كسبها عن طريق التعاون مع مبدأ احترام نفوذها، وهو شرط الذي أحترمه الفرنسيون مؤقتا، ليضرب لاحقا عرض الحائط بعد التمكن من فرض السيطرة، لأنهم وجدوا في استمرار نفوذهم عرقلة لمشروعهم الذي هو في حالة تطور مستمر ، وخير مثال على ذلك ما وقع مع قبيلة أولاد سيدي الشيخ، والتي كان اتفاق زعيمها سي حمزة بن بوبكر مع السلطة الفرنسية التعاون مع شرط عدم التدخل في شؤونهم، وعدم المساس بنفوذ وسلطة القبيلة سنة 1850³، إلا أنه وبمرور الوقت ومع التوسع الاستعماري وتثبيتته بدأت السلطة الاستعمارية تسعى للتخلص من هذا الالتزام ، والقضاء على نفوذ القبيلة وزعمائها ، معتمدة في ذلك على عدة أساليب وتصرفات منها استغلت وفاة سي حمزة بن بوبكر سنة 1861 وألغت لقب الخليفة كلقب تقليدي متوارث في العائلة وتعويضه بلقب جديد أقل قيمة ومكانة منه لقب " الباشاغا"⁴، منح لأبنائه من بعده ممن تولوا الزعامة في القبيلة. وهذا يدخل بالطبع في إطار سياسة التخلص التدريجي للزعامات والانقاص من القيمة السياسية للقبيلة.

¹ _ C.A.O.M. 1J/155, Lettre de ahel adjaja au M le Marechale 1861

² _ C.A.O.M. 1J/21, GGA , PO, Subdivision Mascara, BA ,Plainte contre l'agha elarby Ben youssef 23/2/1852.

³ _ Trumlet, **Les Français dans le désert** , Challamel Ainé, Paris, 1885, PP 91-92.

⁴ _ Maurice Wale, **L'Algérie** , Librairie bailliere et Cie, Paris, 1882, P 240.

_ اعتماد سياسة التجاهل مع الزعامات الأهلية والتدخل مباشرة في تسيير شؤون مناطق نفوذها دون إعلامها بحجة أن ذلك يدخل ضمن صلاحياتهم وفق نظام المكاتب العربية الذي يجعل من الموظفين الجزائريين في الدرجة الثانية تابعين للفرنسيين¹.

_ السعي إلى تشويه سمعة ومكانة الزعامات واتهامهم بالفساد الأخلاقي والتجاوزات السياسية والمالية، مما يفتح المجال للسلطة الفرنسية التدخل بصفة شرعية وتسليط العقوبات عليها في مقدمتها إنهاء مهامها مما يؤدي إلى زوال نفوذها².

_ ساهمت عملية الإشراف وتسيير شؤون القبائل بعد إخضاعها عسكريا تقسيمها إلى قيادتين، بهدف إضعافها خاصة تلك التي كانت مستعصية ورفضت الاستسلام وساندت المقاومة، وللإشارة سياسة التقسيم تم اعتمادها ابتداء من 1850، بعد القضاء على الأمير عبد القادر، وعليه فهذه التغييرات الإدارية في إطار الإشراف، أقصت القبائل، ومثال على ذلك ما حدث مع قبيلة أولاد شريف بدائرة تيارت سنة 1850، وقبيلة الحساسنة بدائرة سعيدة بأمر من قائد المقاطعة في 1850/8/4، وكان التقسيم على خلفية مواقفها الثورية القوية خلال الأربعينات³.

_ من مظاهر الإقصاء كذلك ترقية قيادات محلية لتصبح أغويات مستقلة وهذا في حد ذاته إقصاء وضرب لانتمائها التاريخي مثلما حدث مع قبيلة الرزاينة إحدى فروع قبيلة حميان الشراقة من منطقة القصور بالجنوب الغربي، يتم إلحاقها بقرار في 1850/8/22 كقيادة تابعة لأغوية اليعقوبية بسعيدة بدلا من الجنوب الغربي⁴، وجاء هذا التنظيم على خلفية المواقف الثورية التي تميزت بها قبيلة الطرافي طيلة فترة الأربعينات، مما شكل تهديدا للسلطة الاستعمارية ودفعها إلى شن عدة حملات تأديبية ضدها آخرها سنة 1849، انتهت بإعادة تنظيمها بالتفريق بين فروعها إداريا وضمها إلى دوائر إدارية مختلفة.

¹ _ حباش فاطمة، سي الأعلى بن بوبكر....المرجع السابق، ص 36.

² _ C.A.O.M. 1J/155, Subdivision Mascara, B Géryville, Au sujet de réclamation des gènes d'Ouargla, 20/06/1860.

_ C.A.O.M. 20J/42, Subdivision Mascara, B Géryville, Au Sujet de défection de Si Sliman 25/2/1864.

³ _ Henri Berlette, "Monographie de la région de Tiaret ", **B.S.G.A.**, 17ème année, 1912, PP334-335.

⁴ _ C.A.O.M, 30JJ/320, GGA, Organisation de conscription territoriale « Cercle de Saida ».

إذا كانت السلطة الاستعمارية اعتمدت مبدأ القوة والعنف مع القبائل في الشمال، فإن تعاملها مع قبائل الهضاب والصحراء كان وفق مبدأ التعاون باعتبار أنها عشائر تميزت بطبيعتها الصعبة تبعاً لطبيعتها الجغرافية التي انعكست على السكان نهيك عن بعدها عن السلطة المركزية، لذلك فعملية الإقصاء بدأت بصفة تدريجية، تباينت من منطقة إلى أخرى حسب نمط نفوذ كل قبيلة، بين الإشراف المباشر بعد الخضوع عنوة بمساعدة القبائل المخزنية

خاتمة:

في نهاية المطاف نصل نجد أن معالم التفتيت والإقصاء للقبائل بدأت مع عملية التنظيم والإشراف مباشرة للمكاتب العربية، مما جعل القبائل تحت رحمة السلطة الاستعمارية ومحدودة التصرف والحرية، وهذا في حد ذاته بداية نهاية نظام القبيلة كنظام سياسي واجتماعي في الجزائر، وتطورت حالة الإشراف بهدف الإقصاء من خلال التدخل في عملية تعيين القيادات التقليدية، بعدما حافظت فرنسا على الزعامات الأهلية الأولى مباشرة بعد الخضوع، ومع زيادة السيطرة والتحكم بدأت علنا في التخلص منها خاصة تلك التي عرفت بمواقفها الثورية والمساندة للمقاومة الوطنية. وعليه فقد أصبح عامل العزل وسيلة تخلص من القيادات على اختلاف مراتبها من قياد وأغوات وخلفاء، على أساس مبدأ الولاء والعصيان، إضافة إلى التخلص كذلك من القبائل التي عرفت بمكانتها الدينية والسياسية، وأصبحت خطراً على مشروعها، فبات من الضروري إيجاد أعذار وحجج للتخلص منها واتضح معالمها بجملة من التصرفات والمحاربة العلنية. إذن يمكن القول أنه بقدر ما سعت وبذلت جهوداً في الاستعانة بالزعامات الأهلية، والاستفادة من مكانتها ونفوذها بكل أنواعه عند القبائل لصالح المشروع الاستعماري إلا أنها تبنت معها في نفس الوقت مبدأ الحذر وعدم الثقة المطلقة بها.

كخلاصة يمكن استخلاصها أنه وبفضل الإدارة الأهلية ونظام المكاتب العربية بعناصره خاصة الموظفين الجزائريين استطاع الاستعمار الفرنسي القضاء على البنية السياسية والاجتماعية للمجتمع الجزائري واقصاء نواته الممثلة في القبيلة التي لم تعد موجودة بصورة فعلية ومؤثرة منذ مطلع القرن العشرين إلى يومنا هذا.

قائمة المصادر والمراجع:

- _ أبو القاسم سعد الله. محاضرات في تاريخ الجزائر "بداية الاحتلال"، عالم المعرفة، الجزائر، 2003.
- _ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992.
- _ جميلة معاشي، الأسر الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري (16-19)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر
- _ عبد السلام فيلاي، الجزائر "الدولة والمجتمع"، الوسام العربي، الجزائر. ط1، 2013.

- _ محفوظ قداش، الجزائر صمود ومقاومات 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012.
- _ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- _ شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصرة " الغزو وبدايات الاستعمار 1827-1872"، تر جمال فاطمي، دار الأمة ز الجزائر، 2008.
- _ فاطمة حباش، سي الأعلى بن بوبكر " القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ (1820-1896)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران 2004/2005.
- _ فاطمة حباش، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري (1844-1870) " تيارت، سعيدة، جيرفيل أنموذجا"، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2013/2014.
- _ محمد دادة، السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر (1852-1870)، رسالة لنيل الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2002/2003.
- _ C.A.O.M. F80/ 1676, Notes sur les Bureaux arabes , 1847.
- _ C.A.O.M. 1J/21, Cercle de Tiaret , Révocation de l'agha Eddin Ben yahia contre Khalifa 18/5/1856 .
- _ C.A.O.M. 1J/155, Lettre de ahel adjaja au M le Marechale 1861.
- _ C.A.O.M. 1J/21, GGA , PO, Subdivision Mascara, BA , Plainte contre l'agha elarby Ben youssef 23/2/1852.
- _ C.A.O.M. 1J/155, Subdivision Mascara, B Géryville, Au sujet de réclamation des gènes d'Ouargla, 20/06/1860.
- _ C.A.O.M. 20J/42, Subdivision Mascara, B Géryville, Au Sujet de défection de Si Sliman 25/2/1864.
- _ C.A.O.M, 30JJ/320, GGA, Organisation de conscription territoriale « Cercle de Saida ».
- _ C.A.O.M. 12X/140.
- _ GGA, **Tableaux de la situation des établissements français dans l'Algérie 1849-1851**, Imperial, Paris.
- _ GGA, **Recueil du gouvernement de L'Algérie (1830-1854)**. Alger. 1856.
- _ Henri Berlette, "Monographie de la région de Tiaret ", **B.S.G.A**, 17ème année, 1912.
- _ A Behaghel, **L'Algérie** , Tissier librairie éditeur, Alger 1865.

- _ Albert Ringel, **Bureaux Arabes de Bugeaud et les cercles militaires de Gallieni**, Emille larose , Paris, 1903.
- _ Boujoulat M , **Récits et Pensées d'un voyageur**, Etudes africaines, Extrait du Tour de monde , Paris , 1862.
- _ Jules Duval, **L'Algérie et les Colonies Françaises** , Librairie Guillaumin et Cie, Paris, 1877.
- _ Louis Millot, **Le gouvernement de L'Algérie**, T3, Publication du Comité nationale métropolitaine de centenaire de L'Agérie , Alger, 1930.
- _ M B Thomas, **De l'emploi des arabes et de leur réforme dans l'Algérie**, Bastide librairie éditeur, Alger, 1847.
- _ Maurice Wale, **L'Algérie** , Librairie bailliere et Cie, Paris, 1882.
- _ Richard Charles, **Etudes sur l'insurrection de Dahra**, Typographie, Alger, 1846.
- _ Roger Germain, **La politique indigène du Bugeaud**, Editions larose , Paris, 1955, P20-21.
- _ Trumlet, **Les Français dans le désert** , Challamel Ainé, Paris, 1885.
- _ Victoire Démontés, **La colonisation militaire sous Bugeaud**, Imprimerie Algérienne, Alger, 1917.
- _ Xavier Yacono, **Les Bureaux arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'Ouest du Tell Algérois**, Edition Larose, Paris, 1953.
- _ Eugène Dumas, **Exposé de l'état actuel de la société arabe du gouvernement et de la législation qui régit**, Imprimerie du gouvernement, 1844.
- _ Victor Foucher, **Bureaux arabes en Algérie**, Librairie internationale, Paris, 1858.